وقف مركز مكة العالمي للهداية القرآنية
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

اندثار الحضارة الفرعونية بالرسالة الربانية

(هدايات على ضوء قصة موسى وفرعون من سورة الأعراف)

اسم الباحث/ـة

د/ زينب الصولي طلحة

وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني
هدى الناس
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

المقدمة

تهدف هذه الورقة إلى بيان أثر الرسالة الربانية في تغيير الحضارات والتأثير فيها عن طريق إرسال الله لأنبيائه ورسله، وسيكون التركيز على نبي الله موسى عليه السلام في مواجهة فرعون الطاغية، وكيف ساهمت هذه الرسالة الربانية في القضاء على فرعون وملأه وحضارته بعد أن دامت لعقود من الزمن في ظل الظلم والطغيان.

وتكمن أهمية هذا البحث في كونه إضافة علمية في مجال الهدايات القرآنية، إذ يتطرق إلى الهدايات المستنبطة من قصة فرعون وموسى عليه السلام، في إطار الآيات التي تدل على انهيار الحضارة الفرعونية بغرق فرعون وملائه.

ويعتمد هذا البحث على المنهج الاستنباطي الذي من خلاله يتم استنباط الهدايات القرآنية من قصة موسى عليه السلام وفرعون من بعض آيات سورة الأعراف المتعلقة بموضوع البحث، والمنهج التحليلي الذي يتم من خلاله تحليل أفكار البحث وهداياته.

أهمية البحث:

١- يكتسب البحث أهميته من متعلقه، فهو متعلق بأول مصدر للتشريع وأهم كتاب القرآن الكريم.

٢- معرفة الحضارة الفرعونية من منظور القرآن الكريم

٣- بيان هدايات آيات اندثار حضارة فرعون على يد رسالة موسى عليه السلام من خلال سورة الأعراف.

أسئلة البحث:

- ما الهدايات القرآنية؟ وما مفهوم الحضارة؟ وما هدايات آيات هلاك الحضارة الفرعونية برسالة موسى عليه السلام في سورة الأعراف؟.

أهداف البحث:

١. تعريف الهدايات القرآنية

٢. مفهوم الحضارة

٣. هدايات آيات هلاك الحضارة الفرعونية برسالة موسى عليه السلام في سورة الأعراف؟

أولاً:تعريف الهدايات:

لغة: الأصل اللغوي للفظ هدايات هو "هدى"، عرفها ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) بقوله: "الْهَاءُ وَالدَّالُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: أَصْلَانِ أَحَدُهُمَا التَّقَدُّمُ لِلْإِرْشَادِ، وَالْآخَرُ بَعْثَةُ لَطَفٍ"(١). وعرف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) الهداية قائلا: "الهداية: الدلالة على ما يوصِّل إلى المطلوب، وقد يُقال: هي سلوك طريق يوصِّل إلى المطلوب "(٢).

فلفظ الهدى والهداية لغة لها معان عدة تصب في قالب واحد وهو الرشاد والدلالة، والتقدم للإرشاد، والقصد، ووجهة الأمر، والبيان، والدلالة على ما يوصِّل إلى المطلوب.

مفهوم الهدايات اصطلاحاً:

لم يرد في القرآن الكريم لفظ "هدايات" لا بصيغة الجمع ولا بالإفراد "هداية"، ولكن ورد بصيغ أخرى كلفظ "الهدى" أو بصيغه المتعددة من أفعال ومصدر وغيرها في ست وثلاثمائة موضع في القرآن الكريم.

---

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، (٦/٤٢-٤٣).

(٢) الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، القاهرة، دار الفضيلة، (د.ت)، (ص٢١٥).

وقد تطرق العلماء والمفسرون إلى معنى الهداية، وردها أغلبهم إلى معنى الإرشاد والتوفيق والدلالة الموصلة إلى الهدى(١)، يقول ابن عطية: "والهداية في اللغة الإرشاد، لكنها تتصرف على وجوه يعبر عنها المفسرون بغير لفظ الإرشاد، وكلها إذا تؤملت رجعت إلى الإرشاد، فالهدى يجيء بمعنى خلق الإيمان في القلب، ومنه قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾"(٢).

وعرفها ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ): "الهداية في اصطلاح الشرع حين تسند إلى الله تعالى هي الدلالة على ما يرضي الله من فعل الخير ويقابلها الضلالة وهي التغرير، والهداية أنواع تندرج كثرتها تحت أربعة أجناس مترتبة أقصى أجناس الهداية وهي كشف الحقائق العُليا وإظهار أسرار المعاني التي حارت فيها أَلباب العقلاء إما بواسطة الوحي والإلهام الصحيح أو التجليات"(٣).

---

(١) ينظر: القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط 2، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، (١٤٧/١)، وَابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، =تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد السلامة، الرياض، دار طيبة، ط 2، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م (١٣٧/١)، و: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، ت: خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، ١٤٢٦هـ (٤٥٣/٤-٤٥٦).

(٢) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢ هـ (٧٣/١).

(٣) ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ، (١٨٨/١).

مفهوم الهدايات باعتباره مركباً وصفياً:

يمكن تعريف الهدايات القرآنية باعتبارها مصطلحاً مركبا بأنها: "الدلالة المبينة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل لكل خير، وتمنع من كل شر"(١).

وهو تعريف خاص باعتباره عِلماً مرشداً لما هدى إليه القرآن الكريم من خلال منطوقه ومفهومه من إرشادات توصل إلى الخير والنفع لمن تدبرها وعمل بما استطاع منها، فتحقق السعادة المرجوة لمن عمل بكلام الله تعالى ونبيه ﷺ في الدنيا والآخرة، وبذلك يكون الفرق بينها وبين معنى الهداية الخاص المذكور في القرآن الكريم واضحا، فهو مستوحى منه لكنه لا يرادفه، فالهداية الواردة في القرآن كما فصَّلها المفسرون تشمل معاني هداية الإلهام الفطري، وهداية الدلالة والإرشاد، وهداية التوفيق والتأييد، والهداية التي تتعلق بالآخرة.

وتعرف الباحثة الهدايات القرآنية بأنها "الإرشادات المستنبطة من آيات القرآن الكريم، المستفادة من دلالات الألفاظ والتراكيب وأسباب النزول وعلم المناسبات والبلاغة وغيرها من علوم القرآن الكريم، علمية كانت أو عملية، ظاهرة أو خفية، تُعرَض على شكل أفكار مبسطة مختصرة، يسهل فهمها، تطبيقها يؤدي إلى صلاح الفرد والمجتمع في الدين والدنيا، والفلاح في الآخرة".

ثانياً: مفهوم الحضارة:

التعريف اللغوي: جرى اللغويّ النّحْويُّ ابنُ فارس (ت ٣٩٥هـ) على عادته المبدعة في الكشف عن جذر الكلمة، والجامع لأصولها، والمفرّع لاشتقاقاتها فقال: "الحاء والضاد والراء إيراد الشيء، وروده ومشاهدته وقد جيء ما يبعد عن هذا وإن كان الأصل واحداً. فالحَضَر خلاف البَدو" (٢)

(١) مجموعة من المؤلفين، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، مرجع سابق (٤٤/١).
(٢) معجم مقاييس اللغة، (٧٦/٢).

"والحضارة اسم وجمعها الحضارات، مصدرها حضر، والحضارة الإقامة في الحضر، والحضارة هي التمدن والتمدن مشتقة من المدن التي يعيش فيها مجموعة من البشر بصفة إقامة دائمة وعكسها البداوة، والتي هي مرحلة سابقة من مراحل التطور الإنساني" (١)

وعرّف مجمع اللغة العربية الحضارة بأنها: "مظاهر الرقي العلمي، والفني، والأدبي، والاجتماعي في الحضر" (٢).

على ضوء ما سبق: نستخلص مفهوم الحضارة في اللغة، فهو يأتي بمعنى الإقامة في الحضر والاستقرار بخلاف المجتمعات البدائية ما قبل "الحضارة" التي تعيش مرحلة البداوة وتعتمد على أساليب بدائية ووسائل بسيطة في مرحلة حياتها مثل الاعتماد على الصيد والتنقل والترحال أينما وجد الملأ والكلأ (٣).

الحضارة اصطلاحاً:

وردت تعاريف مختلفة عن الحضارة، وهذه بعضها:

"الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي" (٤)، **وقيل عنها:** "فالمجتمع عبارة عن مجموعة منظمة من الأفراد، والحضارة مجموعة منظمة من الاستجابات التي تعلمها وأصبحت من مميزات مجتمع معين" (٥).

---

(١) ابن منظور، محمد، لسان العرب. بيروت:دار صادر، ط،١ ٢٠٠٣م، ج٤ حرف الحاء، ص.٩٠٧

(٢) مجمع اللغة العربية القاهري، المعجم الوسيط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج١، ص.١٨٠

(٣) عامر علي النعيمي، مفهوم الحضارة وعناصر تكوينها (دراسة تحليلية ومُقارنة)، مجلة الإحياء، المجلد: ٢٣، العدد: ٣٢، جانفي ٢٠٢٣ ص – ص: ٦٠٣ – ٦١٨.

(٤) ديورانت، ول: قصة الحضارة. ترجمة د. زكي نجيب محمود. ١٤ مج. ط.٣ القاهرة: الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية. ١٩٦٥م. ج١ص.٣

(٥) الكيلاني، د.إبراهيم زيد، وآخرون: دراسات في الفكر العربي الإسلامي. ١مج. ط.٣ عمّان١٩٩١:م. ص.٢٤٧

وعرّفها ابن خلدون (ت ٨١١هـ) الحضارة بقوله: "الحضارة: إنما هي تفنُّنٌ في الترف، وإحكامِ الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه " (١).

نبذة عن الحضارة الفرعونية:

أو ما يعرف بحضارة وادي النيل، وهي حضارة مصر القديمة التي شكّلت كُلّاً من أراضي شمال السودان ومصر، ويعود تاريخها إلى حوالي ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وهي من الحضارات الأولى في العالم القديم، وتميّزت بتطوراتها الفنية والعلمية، وكانت الأرض كلها ملكا لفرعون ولا يحق لأحد أن يستغلها دون إذنه، وظهرت براعة المصريين في النقش على الخشب فصنعوا القوارب والعربات والتوابيت الجميلة، واستغلوا نبات البردي في صناعة الورق والحبال.

تفوق المصريون في الهندسة، ولم يستطع لا الرومان ولا الإغريق اللّحاق بهم، وأبرز مثال عن هذا التفوق الأهرامات، التي تعدّ خطيط والهندسة، بحق أعجوبة في البناء والت والتي مازالت إلى الآن تثير دهشة العلماء رغم مرور أكثر من خمس وأربعين قرنا على بنائها.

وكان معظم علماء مصر من الكهنة الذين أسسوا العلوم المصرية رغم ما كان في عقائدهم من خرافات. فالعلوم الرياضية كانت متقدمة أعظم التقدم منذ بداية تاريخ مصر المدون، وحسبنا في ذلك الأهرامات التي ما كانت لتبنى لولا معرفة واسعة بالرياضيات، كما ذهب أكثر القدماء إلى أن علم الهندسة من وضع المصريين، ذلك أنهم كانوا في كل مرة يفيض فيه النيل يقومون بقياس مساحة الأراضي التي محا الفيضان معالم حدودها، أما الطب فهو أكبر مفخرة علمية للمصريين، وقد نشأ الطب من تربة السحر الذي كان شائعا آنذاك، ثم

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون١. مج. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. ص.١٧٢.

استقل بعد ذلك عن منبته وتطور إلى أن ظهر الجراحون والأطباء الأخصائيون(١)

حضارة فرعون في القرآن الكريم:

للقرآن الكريم وسائله الخاصة في التعبير عن رقي العمارة الفرعونية منها: كلمة (مدائن) لم تأت في القرآن إلا وصفا للمدن المصرية فقط : ﴿ قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ ﴾ (الأعراف ١١١) ﴿ قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ (الشعراء ٣٦) ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ (الشعراء ٥٣). وعلى كثرة ما هو مكتوب على العمارة الفرعونية فإن الاهتمام انصب علي المعابد والآثار الدينية الباقية، ولكن القرآن يعطينا معلومة هامة عن رقي العمارة في المدن المصرية إلي درجة أنها لم تعد مجرد (مدن) بل (مدائن) وأن هذه (المدائن) كانت منتشرة علي طول العمران المصري آهلة بالسكان وبالسحرة وبالجنود.

و(الصرح) يعني البناء الشاهق ، ووجود تلك النوعية من ناطحات السحاب أمر غير متوقع في العصور القديمة ، ولذلك وردت كلمة (صرح) في القرآن أربع مرات فقط ؛ مرتان منهما عن سليمان ، وقد كانت الجن تخدمه يعملون له مالا يستطيع البشر الإتيان به ، وجاءت كلمة مرتين عن ذلك البناء الشاهق الذي أمر الفرعون وزيره هامان ببنائه كي يناطح السحاب ويستطيع أن يري رب موسي : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ، أَسْبَابَ السماوات فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾ (غافر ٣٦) ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾ (القصص ٣٨)

(١) ينظر: ديورانت، ول: قصة الحضارة. ج١ص.٣

وبغض النظر عن كفر فرعون فإننا نستفيد من الآيتين أن العمارة المصرية القديمة بلغت شأوا بعيدا في التقدم، ولولا أن فرعون كان يعرف مقدرته في إنشاء مثل ذلك البرج العالي ما طلب ذلك من هامان على رؤوس الأشهاد، وربما كانت مقدرته على ذلك هي التي دعته إلى التطرف في ذلك القول الكافر. ويكفي أن تلك المقدرة على إنشاء الصرح لم تأت في القرآن إلا لسليمان الذي كانت الجن يعملون له ما يشاء ومنها ذلك الصرح الزجاجي الممرد من قوارير والذي أدهش ملكة سبأ . ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل ٤٤)

أما عن الصرح الذي طلب فرعون إنشاءه فقد كان من الأحجار الحمراء. ﴿ فأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً ﴾ أي كانت صناعة الأحجار معروفة في مصر منذ آلاف السنين .

وكلمة (الأوتاد) جاءت في القرآن ثلاث مرات ، مرة واحدة في وصف جبال الأرض التي تمنع القشرة الأرضية من أن تميد بمن عليها. ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادا وَالْجِبَالَ أَوْتَادا ﴾ (النبأ ٦ : ٧)

وفي المرتين الأخريين جاءت الكلمة وصفا لفرعون موسي: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴾ (ص ١٢) ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾ (الفجر ١٠) فالقرآن يصف بعض المنشآت الفرعونية بأنها أوتاد مثل الجبال.

يقول تعالي في نهاية ذلك الفرعون:﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴾ (الأعراف ١٣٧).وكل عمائر فرعون وقومه وجنده وآله أصبحت خراباً بعده وانطبق عليها قوله تعالي عن ثمود : ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ، فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (النمل ٥١ : ٥٢).

لم يتعظ فرعون وقومه بنصيحة مؤمن آل فرعون حين قال لهم: ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ، مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعِبَادِ ﴾ دمر الله ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون .بينما ترك وادي النيل سليما بما فيه ﴿من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين﴾ (الدخان ٢٥ .)

وتشير هذه الآيات إلى أن حضارة فرعون كانت حضارة قوية ومتقدمة، ولكنها كانت حضارة طغيان وظلم، كما تشير هذه الآيات إلى أن الله تعالى قد بعث موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه لهداهم إلى دين الحق، ولكنهم رفضوا الهداية واختاروا الكفر والطغيان، فأهلكهم الله تعالى. (١)

هدايات من آيات اندثار حضارة فرعون برسالة موسى عليه السلام من سورة الأعراف:

وردت في سورة الأعراف آيات تبين انهيار حضارة فرعون وحكمه وطغيانه **منها ما استنبطنا هداياته: (هدايات الآية ١٣٦)**

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾

(١) الانتقال من القصة إلى العبرة بأسلوب سلس، إذ جاء التفريع بالفاء في قوله: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ ليدل على الترتيب والتسبب تنبيها للسامع (٢).

(٢) تفيد الفاءُ في ﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ﴾ ترتب الإغراقِ على ما قبله من النكْثِ، إيذاناً بأن سبب جميعِ ذلك هو تكذيبُ آياتِ الله سبحانه والإعراضُ عنها، ليكون

(١) عامر علي النعيمي، مفهوم الحضارة وعناصر تكوينها (دراسة تحليلية ومُقارنة)، مجلة الإحياء، المجلد: ٢٣، العدد: ٣٢، جانفي ٢٠٢٣، ص – ص: ٦٠٣ – ٦١٨.

(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (٧٤/٩).

ذلك تنبيها للسامع عن تكذيب الآياتِ البينةِ على يد رسولِ الله ﷺ والإعراضِ عنها(١).

(٣) التفصيل والإجمال في قصص القرآن متعلق بمقصد السورة، فالقصة قد تُذكَر في موضع بإجمال وفي آخر بإطناب، فلم ترد تفاصيل قصة الإغراق في هذه السورة؛ بل جاء ذكرها إجمالا ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ وذكرت تفاصيله في مواطن أخر بما يناسب مقصد السورة.

(٤) الله سبحانه ينجي ويهلك بالشيء الواحد، لعظيم قدرته، فكما نجى باليم، أغرق به ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ (٢).

(٥) الإغراق نوع من الانتقام، ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ وسببه الإجرام الذي تقدم؛ ﴿إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

(٦) ليس على الرسل إلا البلاغ، والعذاب والمؤاخذة بيد الله وحده ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ فموسى عليه السلام مبلّغ فحسب، وكما قال تعالى: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٢٨﴾ [آل عمران: ١٢٨]، ومثله أيضا: ﴿إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوۡ تَشۡعُرُونَ ١١٣ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ١١٥﴾ [الشعراء: ١١٣-١١٥].

(٧) المعاصي سبب في الهلاك وزوال النعم؛ ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾.

(٨) من أنواع الانتقام الإلهي أن تمحى الجماعة الفاسدة غير القابلة للإصلاح من صفحة الوجود، فلا يحق لها الحياة في نظام الخلق.

(٩) البحر وغيره مما في الأرض أو السماء ما هو إلا جند من جنود الله تعالى، إذا شاء أن يسلطه على أحد أو يعاقب به أحدا فعل، ولا راد لأمره سبحانه.

---

(١) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢٦٣/٣).

(٢) ينظر: الشعراوي، خواطر الشعراوي (٧/ ٤٣٢٣).

(١٠) قدرة الله في تصريف هذا الكون وتدبيره كما يشاء سبحانه، إذ جعل اليم الذي سخر فيه الفلك سبيلا وطريقا للموت والدمار ﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾.

(١١)كان هلاك فرعون بالشيء الذي تفاخر به وادعى أنه ملكه ﴿أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ﴾ [الزخرف: ٥١].

(١٢)كذب آل فرعون عنادًا من غير شبهة عرضت لهم، إذ جبلوا وتطبعوا على العناد، فكان حالهم بعدها كالذي قبلها، كأنما لم تأتهم الآيات أصلا، فأخذهم الله سبحانه(١).

(١٣)الانتقام من آل فرعون لجحودهم بالإيمان بألوهية الله سبحانه، وظلمهم بني إسرائيل واستعبادهم.

(١٤)في قوله تعالى: ﴿بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بيان أن من شاهد مثلها ليس له أن يكذِّب بها مع عِلمِه بها(٢).

(١٥) الغفلة عن الحق وبراهينه من صفات الكفار(٣).

(١٦)جاء الوعيد على الغفلة تجوزاً لما كان الإعراض عن الآيات وعدم الالتفات إليها كالغفلة عنها، فسماهم الله غافلين، ﴿وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾(٤).

(١٧)التكذيب بآيات الله وعدم الإيمان والعمل بها، والغفلة عن التفكر والتدبر، سبب العذاب في الدنيا والآخرة(٥).

---

(١) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤٤/٨).

(٢) ينظر: الألوسي، روح المعاني (٣٠/٥).

(٣) ينظر: رشيد رضا، تفسير المنار (٨٣/٩).

(٤) ينظر: الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٢٤٢/٢).

(٥) ينظر: الجزائري، أيسر التفاسير (٢٣٠/٢).

(١٨) خطورة داء الغفلة على النفس البشرية ﴿وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾، ولذلك حذر الله تعالى نبيه ﷺ من ذلك فقال: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

(١٩)الاستسلام التام لأوامر الله تبارك وتعالى، وعدم معارضة الرسل عليهم السلام، دليل على صدق الإيمان.

(٢٠) الاستسلام لأوامر الله واتباعها نجاة وعصمة من الغفلة.

(٢١)تعمر البلدان بالطاعة وتخرب بالمعصية، دل عليه قوله تعالى: ﴿بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴾.

(٢٢) التنويه بالرسل الذين أرسلهم الله لدعوة الناس، وإنقاذهم من غفلتهم.

(٢٣)النجاة في الدنيا والآخرة يكون بالتصديق بما أنزل الله على رسله، والاستجابة لدعوة الحق.

(٢٤)فضل التصديق بآيات الله تعالى؛ وأن صاحبه يسلم من العذاب.

(٢٥) من شؤم المعصية أنها تجر بعضها بعضا؛ لقوله: ﴿ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾؛ فغفلوا بسبب التكذيب.

(٢٦) لا يُضِل الله أحدا إلا بعدله سبحانه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

(٢٧)دلت الآية على إعراض آل فرعون عن التفكر في الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام بإطلاق لفظ الغفلة مجازا ﴿بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾.

(٢٨)أخذ الله للظالمين أخذ عزيز مقتدر سبحانه، وقد جاء في الحديث: "إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته"(١).

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة هود، باب: قوله وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد، رقم الحديث: ٤٤٠٩.

(٢٩)أساس هلاك الأمم مخالفتهم للرسل عليهم السلام وتركهم ما جاؤوا به من عند الله.

(٣٠)في الآية بشارة للمظلومين والمضطهدين، وإثلاج لصدورهم، وبعث للأمل في نفوسهم لإحسان الظن بربهم؛ إذ لهم ربّ سينتقم لهم عاجلا أو آجلا.

(٣١)للظالمين عقاب في الدنيا قبل الآخرة؛ وعليه فلا تعارض بين ما أنزله الله تعالى بالظالمين من عقاب في الدنيا، وبين قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

(٣٢)جاء ذكر تكذيب آل فرعون بالآيات ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بدل ذكر تكذيب موسى عليه السلام، لأن سورة الأعراف تدور حول التركيز على الآيات بمجملها وعاقبة المكذبين بها.

(٣٣)تهديد الظلمة والمجرمين؛ وتخويفهم؛ إذ يأتيهم انتقام الله تعالى بغتة.

(٣٤)ذكر الله سبحانه وتعالى والإيمان بآياته، وعدم الغفلة عنها، سبب لنيل رضوانه؛ وتجنب انتقامه جل شأنه.

(٣٥)تفيد تحقيقا لوعد الله الأزلي؛ وسنته في الكون بنصرة عباده المؤمنين؛ ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

(٣٦)لِعذاب الله سبحانه وتعالى موجبات، والله لا يأخذ أحدا إلا بجريرة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]، وكما وعد موسى عليه السلام بني إسرائيل: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ [الأعراف:١٢٩].

(٣٧)التحذير من مكر الله.

(٣٨)التلميح لمشركي العرب في إعراضهم عن التفكر في صدق رسول الله ﷺ ومعجزاته.

(٣٩)الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾؛ ولذا قال: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ أي جميعا فرعون وقومه.

هدايات الآية ١٣٧:

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾.

(٤٠)استمرار الاستضعافِ الذي كان يلحق بني إسرائيل وتجدّدِه عبر عقود، دل عليه الجمعُ بين صيغتي الماضي والمستقبلِ في قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ﴾(١).

(٤١)كمال لُطف الله تعالى ببني إسرائيل وعظيم إحسانِه إليهم برفعهم من حضيض المذلة إلى أوج العزة، دل عليه وصفهم بالاستضعاف ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ﴾(٢).

(٤٢)من سياسات الدول الظالمة الجائرة استبقاء شعوبها في تخلف، فتستحوذ طبقة على الحكم والسياسة والأموال، وكذلك استبقى الفراعنة بني إسرائيل في حالة ضعف دائمة، فكريا وأخلاقيا واقتصاديا وغيرها ﴿كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ﴾.

(٤٣)الله عز وجل جواد كريم إذا أعطى أدهش، ولا حدود لعطائه ﴿وَأَوْرَثْنَا

(١) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢٦٦/3).

(٢) ينظر: المرجع نفسه (٢٦٦/٣).

ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا﴾.

(٤٤)جاءت المشارق والمغارب على صيغة الجمع باعتبار تعدد الجهات، فالجهة أمر نسبي تتعدد بتعدد الأمكنة المفروضة، والمراد بهما إحاطة الأمكنة فيدل ذلك على أن لكل مكان مشرقا، ولكل مكان مغربا(١).

(٤٥)شدة سعة الأراضي التي كانت تحت تصرّف فرعون وقومه، فالأراضي الصغيرة عادة ليس لها مشارق ومغارب، أما الأراضي الواسعة جداً فيكون لها مشارق ومغارب بسبب كروية الأرض، دل عليه قوله التعبير بـ ﴿مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا﴾.

(٤٦)في قوله تعالى: ﴿بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ إشارة إلى أن مصر والشام كانت تتمتع بالخصب العظيم، وهي في هذا الزمان من أكثر مناطق العالم الخصبة كثيرة الخيرات.

(٤٧)ليست البركة مقتصرة على الأرض بالمياه والأشجار والثمار والخصب فحسب، بل كذلك في أرزاقها بالكثرة والطيب، وفي رجالها بالعلم والنبوة، وفي طباعهم بالاستقامة، وفي عزائمهم بالنجدة والشجاعة والمكارم، وفي جميع أحوالهم بأنه لا يبغي عليهم ظالم إلا عوجل بالنقمة(٢).

(٤٨)تفيد أن بلاد الشام بلاد مباركة لقوله تعالى: ﴿ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾.

(٤٩) البركة من الله عز وجل وحده؛ وفي الحديث: (والبركة من الله)(٣).

(٥٠)تمام الشيء وصوله إلى آخر حده، دلت عليه ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ التي هي

---

(١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (٧٦/٩).

(٢) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤٥/٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب شرب البركة والماء المبارك، رقم الحديث:٥٣١٦.

وعده سبحانه لبني إسرائيل بأن يهلك عدوهم ويستخلفهم في الأرض من بعده(١).

(٥١)فيها وعد من الله الذي نصر موسى عليه السلام وأمته على عدوهم، أنه سينصر النبي ﷺ وأمته على عدوهم أيضا، لأنه هو سبحانه ذلك الرب الذي نصر المؤمنين السابقين، وتلك هي سنتُه، دل عليه خطابه تعالى لنبيه بقوله: ﴿رَبِّكَ﴾(٢).

(٥٢)بالصبر واليقين، تُنال الإمامة في الدين، ويتحقق الفرج(٣)، لقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾، وتصديقه: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

(٥٣)الله سبحانه وتعالى كريم شكور، حليم على تقصير عباده، لقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾؛ إذ وصفهم بالصبر لواسع كرمه وفضله، وإلا فقد بدا منهم الجزع والتضجر لسيدنا موسى عليه السلام ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف: ١٢٩].

(٥٤)من صبر على مقاساة الذُّلِّ في الله وضع الله على رأسه تاج العرفان، فهو العزيز سبحانه، لا يُشْمِتُ بأوليائه أعداءهم، ولا يضيع من جميل عهده

(١) ينظر: رشيد رضا، تفسير المنار (٨٥/٩).

(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (٧٦/٩).

(٣) الزرعي، أبو بكر عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، ت: عبد الله بن محمد المديفر، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ (١٦/١).

جزاءَهم(١).

(٥٥)الحث على الصبر، وعلى أنّ من قابل البلاء بالجزع وكله الله عز وجل إليه، ومن قابله بالصبر والثبات وانتظار النصر، ضمن الله تعالى له الفرج(٢).

(٥٦)في قوله تعالى: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ دلالة على أهمية الصبر في نيل المراد، وانتظار الفرج من الله وحده تعالى، قال سبحانه: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:١٢٣].

(٥٧)الله سبحانه عند القلوب المنكسرة يجبرها، ومع عباده المستضعفين ينصرهم(٣).

(٥٨)ليست العبرة بكثرة العدد والعدة، بل بقوة الإيمان والصبر والتوكل على الله(٤).

(٥٩)يجدر بالمؤمنين أن ينتقلوا من التفكر في العبر المستوحاة من القصص إلى التفكر في وعد الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بالنصر، كما وعد المرسلين إذا هم أقاموا أسباب النصر(٥).

(٦٠)بشارة المؤمنين أن عاقبة السلطان ستكون لهم كما كانت لبني إسرائيل من قبل، جزاءً من عند الله على صبرهم على الأذى فيه سبحانه(٦).

---

(١) ينظر: القشيري، لطائف الإشارات (٥٦١/١).

(٢) ينظر: الزمخشري، تفسير الكشاف (١٤٩/٢).

(٣) ينظر: الألوسي، روح المعاني (٣١/٥).

(٤) ينظر: رشيد رضا، تفسير المنار (٨٥/٩).

(٥) ينظر: رشيد رضا، تفسير المنار (٨٥/٩).

(٦) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (٧٦/٩).

(٦١) نذارةُ المشركين بزوال سلطان دينهم(١).

(٦٢)مع أن التدمير في قوله تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ بمعنى أن تدك شيئا وتخربه، إلا أنه قد ظل ما فعله الله بفرعون وقومه باقيا في الآثار التي تدل على عظمة ما صنعوا، ليكون عبرة لمن خلفهم(٢).

(٦٣)في الآيات دلائل على قدرة الله سبحانه وتعالى، وصادق وعده، وعظيم منته على خلقه، وحسن تدبيره فيهم عز وجل(٣).

(٦٤)إذا كان الشعب مستضعفا فعليه أن ينهض ويحاول تخليص نفسه من مخالب الاستعمار والظلم، مع الاستعانة التامة بالثبات والاستقامة في سبيل الله ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد:٧].

(٦٥)ينبغي على المؤمن عدم اليأس مهما كان حال الضعف الذي فيه، فإن العاقبة لأهل الإيمان مع الصبر ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

(٦٦)إذا أراد أمرا هيأ له أسبابه؛ وأزال عواقبه وعوائقه وأتمه: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ﴾ وكما قال: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

(٦٧)فيها تصديق الله لأوليائه الذين أحسنوا فيه الظن؛ لما سبق من حكاية الله عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُواْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

---

(١) ينظر: المرجع نفسه (٧٦/٩).

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي (٤٣٢٦/٧).

(٣) ينظر: الجزائري، أيسر التفاسير (٢٣١/٢).

(٦٨)دوام الحال من المحال؛ فقد غيَّر الله حال بني إسرائيل من حال إلى حال، ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣] الذي جعل للشدة والرخاء أجلا ينتهي إليه(١).

(٦٩)ينبغي على من ولاه الله أمر المسلمين أن يتقي الله فيهم، فالله سبحانه قلب حال بني إسرائيل من شدة الاستضعاف والاضطهاد إلى الحرية والخيرية والنعم التي ليس لها مثيل.

(٧٠)بيان عظيم قدرة الله عز وجل لقوله: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾.

(٧١)فيها أن فرعون وقومه كانوا مسرفين في الزينة والبناء والتشييد؛ لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ [ص: ١٢]، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣١].

(٧٢)من حكمة الله سبحانه أنه لم يعط لبني إسرائيل نعمة معاصرة لنعمة عدوهم فرعون، بل أعطاهم نعمة على أنقاض العدو، فصار لهم نعمتان؛ نعمة ضمت إهلاك عدوهم، ثم نعمة جعلهم أئمة وهداة ورثوا الأرض(٢).

(٧٣)قد يستمر الهوان والضعف ردحا من الزمن، لكنه سينقضي بمشيئة الله ومنته متى ما حقق صاحبه شروط النصر، وأولها الصبر.

(٧٤)كفى بهذه الآية حاثَّة على الصبر، وضامنة على كل حائز للأجر بالتفريج عن المظلوم ونصره، وإهلاك المظلوم وقهره (٣).

---

(١) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (٨/١٥١).

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي (٧/ ٤٣٢٦).

(٣) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ٦٤).

(٧٥)فيها دلالة على أهمية الصبر على السلطان الجائر، وأن الله آخذه بظلمه لا محالة، وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنه: "لو أن الناس إذا ابتلوا من سلطانهم بشيء صبروا ودعوا الله لم يلبثوا أن يرفع الله ذلك عنهم، ولكنهم يفزعون إلى السيف فيوكلون إليه والله ما جاؤوا بيوم خير قط، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾(١).

(٧٦)التحزن لا ينافي الصبر، بدليل وصف الله سبحانه بني إسرائيل به في قولهم لموسى عليه السلام: ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾(٢).

(٧٧)الأيام دول بين الناس، فلا يدوم حال، فالذي كان يذبح الأبناء، ويستحيي النساء، ويذل الرجال، ويقول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ويقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]؛ أهلكه الله في لحظة: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾.

(٧٨)تسلية النبي ﷺ بأن الله منجز له ما وعده، وسيفتح له، ويهلك عدوه، وينصره نصراً عزيزاً.

(٧٩)تفيد أن الله سبحانه يهلك الظالمين وأعوانهم، فهو القوي الجبار سبحانه وتعالى، لقوله: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾.

(٨٠)لله تعالى سننا في نصر أوليائه المستضعفين بصبرهم، وعقاب الكافرين بطغيانهم.

---

(١) الدر المنثور، السيوطي (٣/ ٥٣٢).

(٢) ينظر: الألوسي، روح المعاني (٥/٤١).

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج والتوصيات:

١-دراسة الحضارة تقتضي أنْ يقف الباحث على تعريفها؛ لكي يسهل الوقوف على مقوّماتها، فعرّفت الحضارة في اللغة، والاصطلاح.

٢-لمعرفة كيفية وسبب انهيار الحضارة الفرعونية وجب بيان أهم معالمها ومقوماتها المادية، ومواصفاتها من منظور قرآني.

٣-العدل قوام الحضارة، وسبب من أسباب بقائها مزهرة. وأي حضارة مهما زهت ألوانها، ولم تقم على العدل؛ فإنّ لعنة الله، ودعوة المظلومين ستطاردها.

٤-الوجه المشرق للحضارة إنسانيتها، وخطابها الإنساني للبشر، ينصهر الناس في بوتقتها، مؤمنين، وتأنف العنصرية البغيضة.

٥-الحضارة لا يمكن لها أنت تستقر إلا بنظام سياسيّ، يحميها، ويقيم العدل بين أطرافها، ويوفّر لها نعمة الأمن، ويحافظ عليها، فإن هي طغت وتجبرت أمهلها الله ثم أهلكها.

٦- الأمر بالمعروف والنهي المنكر، ضابطان لاستمرار الحضارة، ويعبران عن صحوة الضمير، والحرص على الحضارة، وكذلك وقف نبي الله موسى في وجه فرعون وملأه.

٧-كما أنّ هناك مقوّمات للحضارة؛ فهناك عوامل تؤدي إلى أفولها، وعلى رأس هذه العوامل الكفر والطغيان، فإنّ سلسلة تفكّك عُرى الحضارة الذي قد يصل إلى انهيارها؛يكمن أساساً في لبّ العقيدة الفاسدة المحركة لعجلة الحضارة.

٨-الظلم أبشع صورة تبرز فيها الحضارة الآيلة للسقوط، ويعجّل سيرها إلى مدافنها، وهو سيف تنتحر به الحضارة مهما بلغ شأوها، وارتفع شأنها.

٩-الاستكبار، والطغيان، وغرور القوّة، من أسباب تدمير الحضارة، فالقوة إذا لم تهتد بالتصور الصحيح تنقلب إلى نقمة على الحضارة.

المصادر والمراجع:

١. العمادي، أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٢. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٣. ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ.

٤. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢ هـ..

٥. ابن فارس، أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٦. ابن منظور، محمد، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط،١ ٢٠٠٣م.

٧. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط:١،.. ١٤١٥ هـ.

٨. إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي

٩. الشعراوي، محمد متولي، خواطر الشعراوي، القاهرة، مطابع أخبار اليوم .

١٠. الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، القاهرة، دار الفضيلة، (د.ت).

١١. الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط٦، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٢. الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيح، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

١٣. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ت: عبد الله التركي، القاهرة، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط١، ٢٠٠٣م .

١٤. ديورانت، ول: قصة الحضارة. ترجمة د. زكي نجيب محمود. ١٤ مج. ط.٣ القاهرة: الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية. ١٩٦٥م.

١٥. رشيد رضا، تفسير المنار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، :١٩٩٠ .

١٦. الزرعي، أبو بكر عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، ت: عبد الله بن محمد المديفر، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٧. ينظر: الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ

١٨. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، ت: خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، ١٤٢٦هـ

١٩. عامر علي النعيمي، مفهوم الحضارة وعناصر تكوينها (دراسة تحليلية ومُقارنة)، مجلة الإحياء، المجلد: ٢٣، العدد: ٣٢، جانفي ٢٠٢٣.

٢٠. القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط 2، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م،

٢١. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، لطائف الْاشارات، تفسير القشيري، ت: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،. ط٣، ٢٠٠٠م .

٢٢. الكيلاني، د.إبراهيم زيد، وآخرون: دراسات في الفكر العربي الإسلامي. ١مج. ط.٣ عمّان١٩٩١:م. ص.٢٤٧

٢٣. مجمع اللغة العربية القاهري، المعجم الوسيط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج١، ص.١٨٠.

٢٤. مجموعة من المؤلفين، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، مرجع سابق (٤٤/١).

٢٥. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، ت: محمد عبد الله النمر- عثمان جمعة ضميرية-سليمان مسلم الحرش،. ط٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م. معالم التنزيل في تفسير القرآن،. الرياض، : دار طيبة للنشر والتوزيع.

٢٦. ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد السلامة، الرياض، دار طيبة، ط 2، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م